حدود الدبلوماسية السلبية

دخلت الجهود الاميركية لاحياء فكرة الانتخابات في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، الشهر الماضي، عتبة جديدة، استمر فيها الأخذ والرد في لعبة دبلوماسية معظمها وراء الستار، وبعيداً من العلانية الظاهرة. ولغرض التبسيط في استعراض تلك الجهود، على امتداد تشرين الاول (اكتوبر) بكامله، فاننا سوف نسعى الى تقسيمها الى ثلاث فترات زمنية: الفترة الاولى، تمتد من مطلع الشهر وحتى العاشر منه، وتميّزت بالجهود المبذولة من قبل وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، لجمع شمل وزيري الخارجية، المصري عصمت عبدالمجيد والاسرائيلي موشي ارنس، للاجتماع به في واشنطن، من اجل البحث في كيفية التوفيق بين خطة رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، للانتخابات و«النقاط العشر» التي قدّمها الرئيس المصري، حسني مبارك، لانجاح هذه الانتخابات؛ الفترة الثانية، تمتد من اطلاق الوزير الاميركي لخطته ذات النقاط الخمس حتى اليوم الذي سرّبت فيه السفارة الاسرائيلية في واشنطن رسالة وزير الخارجية، ارنس، الى نظيره الاميركي، والتي انطوت على استبدال الـ «لا» لنقاط بيكر الخمس بالـ «نعم» المثقلة بالشروط؛ أمّا الفترة الثالثة والاخيرة، فترتكز على رصد تطورات «اللعبة الدبلوماسية» من جانب الولايات المتحدة الاميركية في سعيها الى التوصل لاتفاق على «اطار» ما يمكن، من خلاله، ايجاد مخرج دبلوماسي لعملية السلام في المنطقة.

العودة الى طاولة الرسم

لقد انصبّت المشكلة الحقيقية التي واجهتها الادارة الاميركية، مطلع الشهر الماضي، على الكيفية التي يمكن بها اخراج عملية السلام وخطة الانتخابات في الارض المحتلة من الطريق المسدود الذي سبّبه الرفض الاسرائيلي للنقاط المصرية العشر. وبالطبع، لم يقتنع احد بالاعلان، أو بالاحرى بالتفسير، الاميركي الرسمي بأن الحكومة الاسرائيلية لم ترفض، ولم تقبل، النقاط المصرية العشر، خصوصاً وان معظم مراقبي التطورات والاحداث في الشرق الاوسط يدرك جيداً ان الكرة التي وضعت في الملعب الاسرائيلي رميت، مجدداً، الى الملعب الاميركي، بالايحاء و«التمني»، اذا صحّ التعبير، على ادارة الرئيس جورج بوش التوفيق بين خطة شامير ونقاط مصر العشر (روبرت بير، **انترناشونال هيرالد تربيون**، ٣/١٠/١٩٨٩).

وما برز، بشكل واضح، هو ان الاطراف الاميركية والمصرية والاسرائيلية عملت، خلال الاتصالات والمحادثات في نيويورك وواشنطن، على محاولة حصر نقاط النقاش في موضوع الحوار الفلسطيني ـ الاسرائيلي، وتأجيل السعي الى فضّ المشاكل الاكبر والاكثر جوهرية لمرحلة لاحقة، على أساس اعتماد سياسة «الخطوة خطوة» في عملية بطيئة تستهدف «تذليل العقبات» (انطوني لويس، **المصدر نفسه**، ٢/١٠/١٩٨٩). ولعل العقبة الابرز، التي طغت على ما عداها، هي التلكؤ الاسرائيلي في التقدم باتجاه مشروع الانتخابات في الارض المحتلة. من هنا، صرّح بيكر بأن على الولايات المتحدة مراجعة سياستها حيال اسرائيل نتيجة تلكؤ الاخيرة في هذا الشأن. وسُئل، في مؤتمر صحافي في نيويورك، ما الذي سيحصل اذا لم تتخذ الحكومة الاسرائيلية قراراً بشأن النقاط المصرية العشر؟ فأجاب: «يجب البدء بالعمل»؛ ومن الممكن «ان تتدخل الولايات المتحدة، اذا كان ذلك ضرورياً، او تتدخل مصر»، من اجل التوصل الى حوار ومفاوضات بين فلسطينيين واسرائيليين. وأضاف: «نعتقد بأن خطة شامير للانتخابات تمثّل مناسبة ممتازة للوصول الى تقدّم نحو السلام، ونأمل، ببساطة، في ان تبقى الحكومة الاسرائيلية متعلقة، بحزم، بهذه الخطة، كما هو الحال في السابق»